الصحوة الإسلامية والاستئناف الحضاري وعلماء الدين

(الصفحات ٩- ٢٦)

ملخّص

في جمادى الثاني الماضي انعقد مؤتمر «الصحوة الإسلامية وعلماء الدين» وفيه ألقى الإمام القائد آية الله سيد علي الخامنئي كلمة جعلت قلوبنا مطمئنة أكثر لما اتجهنا فيه على صفحات هذه المجلة بشأن ضرورة استئناف المسيرة الحضارية للمسلمين.

ففي هذه الكلمة وردت مفردات أساسية تندرج ضمن منظومة واحدة هي «الإحياء».

من تلك المفردات «الصحوة الإسلامية» وهي «ظاهرة عظيمة لو بقيت سليمة وتواصلت بإذن الله لاستطاعت أن تقيم «الحضارة الإسلامية» في أفق ليس ببعيد للعالم الإسلامي.

وبعد أن يبين سماحته السنن الكونية المساندة لاستمرار الصحوة ويذكر تجارب الجمهورية الإسلامية في التحديات التي تواجه الناهضين الإسلاميين، يبين معالم هذه الحضارة.

على صفحات هذه المجلّة نشرنا مقالات وبحوثًا بشأن علاقة الصحوة الإسلامية بالاستئناف الحضاري،ومجمل ما جاء في ذلك المنشور هو أن الصحوة الإسلامية تعبير عن يقظة الوجدان لدى الأمة. وهذه اليقظة هي بالتعبير القرآني: «الإحياء» وهي: «خروج من الظلمات إلى النور». والحي يتحرك... والخارج من الظلمات إلى النور يرى «الجمال»، ومن رأى الجمال «يعشق»، ومن يعشق يبتكر وينتج «حضارة».

فالصحوة حياة وحركة وعشق و إنتاج حضاري.

هكذا نتجت كل الحضارات.. يقظة وجدان انتهت ببناء حضاري.. والحضارة الإسلامية طوت هذه المراحل، مع فارق بينها وبين الحضارات الماديّة، هي أن الحركة في إطار«الثقافة الإسلامية» تتجه إلى «الماء» لا إلى «السراب»،فتنتج حضارة ذات جذور راسخة في فطرة الإنسان، وتنمو مثل شجرة ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاء، تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ ، بينما الثقافة المادية تنتج عطشًا وحركة، غيرأن هذه الحركة تتجه نحو سراب ﴿يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاء حَتَّى إِذَا جَاءهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾.

الإحيائيون يقرأون الحراك الشعبي العربي اليوم بهذه النظرة الحضارية.. يرون فيها المستقبل الواعد والخيرالعميم. ويرون المظاهرالسلبية التي تشوب هذا الحراك بأنه زبد مخلّفات عصورالسبات والركود والانحطاط.

طهران يأتي اهتمامها بالصحوة الإسلامية في بعض بلدان العالم العربي من هذا المنطلق. ترى أنّ ما حدث فيها قبل أكثرمن ثلاثة عقود هوإحياء لجزء من جسد هذه الأمة، ولا يكتمل هذا الإحياء إلاّ بإحياء سائرأعضاء هذا الجسد.. وليس بالضرورة أن يحدث في سائرالأعضاء مثل ما حدث في إيران ، فلكل بلد ظروفه الخاصة،ولكن لا بد من إحياء ينتشل الأمة من ركودها وتقهقرها وفقدانها المكانة اللائقة بين الأمم ومن ضموردورها في الإنتاج الحضاري العالمي..

وهذه مسألة كبرى.. بل هي مسألة المسائل في واقعنا السياسي والاقتصادي والثقافي والنفسي والاجتماعي. ما نعانيه من ضعف في هذا الواقع بجميع مجالاته إنما يعود إلى هذا الركود الحضاري، و إلى نقص في يقظة الوجدان. وما نواجهه من حرب إعلامية ونفسية إنما يتجه إلى تكريس هذا الركود، إما بإغراق فئة في مستنقع الشهوات الهابطة أو بدفع فئة أخرى نحو ردود فعل تشوّه صورة الإسلام، وحصيلة ذلك هزيمة نفسية وفقدان الثقة بالله وبالنفس وبالهوية.

ضمن اهتمامها بالصحوة الإسلامية عقدت طهران مؤتمرات عديدة وكان آخرها «**الصحوة الإسلامية وعلماء الدين**»، (١٨-١٩ جمادي الثاني ١٤٣٤هـ/ ٢٩-٣٠ نيسان (ابريل/ ٢٠١٣م).

أهمية الصحوة الإسلامية

وفي هذا المؤتمر ألقى العبد الصالح الإمام السيد علي الخامنئي كلمة على غاية من الأهمية بيّن فيها قراءة القيادة الإسلامية لما يجرى على الساحة وبيّن ما للصحوة الإسلامية من أهمية حياتية للأمة جمعاء، وما ينبغي أن تتوجه إليه من إقامة الحضارة الإسلامية.

قال مخاطبًا المؤتمرين:

« موضوع الصحوة الإسلامية الذي ستتناولونه في هذا المؤتمر هو اليوم في رأس قائمة قضايا العالم الإسلامي والأمة الإسلامية.. إنه ظاهرة عظيمة لو بقيت سليمة وتواصلت بإذن الله لاستطاعت أن تقيم **الحضارة الإسلامية** في أفق ليس ببعيد للعالم الإسلامي ومن ثَمّ للبشرية جمعاء.

إنّ البارز أمام أعيننا اليوم، ولا يستطيع أي إنسان مطّلع وذي بصيرة أن ينكره هو أن الإسلام اليوم قد خرج من هامش المعادلات الاجتماعية والسياسية في العالم، واتخذ مكانة بارزة وماثلة في مركز العناصر الفاعلة لحوادث العالم، ليقدم رؤية جديدة على ساحة الحياة والسياسة والحكم والتطورات الاجتماعية. ويشكل ذلك، في عالمنا المعاصر الذي يعاني بعد هزيمة الشيوعية والليبرالية من فراغ فكري ونظري عميق، ظاهرةً ذات مغزى وأهمية بالغة.

وهذا أول أثر تركته الحوادث السياسية والثورية في شمال أفريقيا والمنطقة العربية على الصعيد العالمي، و يبشّر بدوره ببروز حقائق أكبر في المستقبل.

إنّ الصحوة الإسلامية التي يتجنب ذكرها المتحدثون باسم جبهة الاستكباروالرجعية ، بل يخافون أن يجري اسمها على ألسنتهم، هي حقيقة نرى معالمها اليوم في أرجاء العالم الإسلامي كافة. وأبرزمعالمها تطلّع الرأي العام وخاصة فئة الشباب إلى إحياء مجد الإسلام وعظمته، ووعيهم لحقيقة نظام الهيمنة العالمية، وانكشاف الوجه الخبيث والظالم والمستكبرلحكومات ودوائرأنشبت أظفارها الدامية لأكثرمن قرنين في المشرق الإسلامي وغير الإسلامي، وجعلت مقدرات الشعوب عرضة لنزعتها الشرسة والعدوانية نحو الهيمنة، وذلك بنقاب المدنية والحضارة».

السنن القرآنية في مستقبل الصحوة الإسلامية

العودة إلى السنن القرآنية من أساليب الإحيائيين المسلمين في نظرتهم إلى الواقع و إلى المستقبل. هكذا فعل الإمام الشهيد محمدباقرالصدرفي دروسه بشأن سنن حركة التاريخ وهكذا فعل الشهيد سيد قطب في حديثة عن «المستقبل لهذا الدين» والسيد الإمام الخامنئي هو أيضًا من خلال قراءة قرآنية يرى أن ما حدث في بعض بلدان شمال أفريقيا يبشّر«بمعطيات مستقبلية كبرى وهائلة» استنادًا إلى ما يحكيه القرآن الكريم. يقول:

« أبعاد هذه الصحوة المباركة واسعة غاية السعة وذات امتداد رمزي، ولكن ما حققته من حاضرالعطاء في بعض بلدان شمال أفريقيا من شأنه أن يجعل القلوب واثقة بمعطيات مستقبلية كبرى وهائلة.

إنّ تحقق معاجزالوعود الإلهية يحمل دائمًا معه دلالات أمل يبشّر بتحقق وعود أكبر. وما يحكيه القرآن الكريم عن الوعدين الإلهيين لأم موسى هو نموذج من هذه السنة الربانية،

إذ في تلك اللحظات العسيرة، حيث صدرالأمربإلقاء الصندوق حامل

الرضيع في اليمّ، جاء الخطاب الإلهي بالوعد: ﴿إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ أن تحقق الوعد الأول، وهو الوعد الأصغر الذي شدّ على قلب الأم، أصبح منطلقًا لتحقق وعد الرسالة، وهو أكبر بكثير، ويستلزم طبعًا تحمل المشاق والمجاهدة والصبر الطويل: ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ...﴾ هذا الوعد الحقّ هو تلك الرسالة الكبرى التي تحققت بعد سنين وغيّرت مسيرة التاريخ.

ومن النماذج الأخرى التذكير بالقدرة الإلهية الفائقة في قمع المهاجمين للكعبة، والذي ورد في القرآن بلسان الرسول الأعظم ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ﴾ وذلك لتشجيع المخاطبين لامتثالهم الأمر الالهي: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾.

وفي موضع آخر يذكّر سبحانه رسوله بما أغدقه عليه من نِعَم تشبه المعجزة: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى، وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾ ليكون ذلك وسيلة لتقوية معنويات نبيّه الحبيب و إيمانه بالوعد الإلهي في قوله: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ ومثل هذه الأمثلة كثيرة في القرآن الكريم.

حين انتصر الإسلام في إيران، واستطاع أن يفتح قلعة أمريكا والصهيونية في أحد أكثر البلدان حساسية من هذه المنطقة المهمة بامتياز، عَلِم أهل العبرة والحكمة أنهم إذا انتهجوا الصبر والبصيرة فإن فتوحات أخرى ستتوالى، وتوالت بالفعل».

عناصر الاستمرار

العناصر التي يجب أن تتوفر في الصحوة كي تتواصل وتحقق أهدافها يلخصها الإمام القائد من خلال تجربة الجمهورية الإسلامية فيما يلي:

ـ الثبات والصبر والبصيرة.

- الثقة بالوعد الإلهي بالنصر.

يقول:

« الحقائق الساطعة في الجمهورية الإسلامية والتي يعترف بها الأعداء قد تحققت بأجمعها في ظل الثقة بالوعد الإلهي والصبر والمقاومة والاستمداد من ربّ العالمين. شعبنا كان يرفع دائمًا صوته بالقول: ﴿كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ أمام وسوسة الضعفاء الذين كانوا يرددون في الفترات الحرجة: ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ .

هذه التجربة الغالية هي اليوم في متناول الشعوب التي نهضت بوجه الاستكبار والاستبداد، واستطاعت أن تسقط أو تزلزل عروش الحكومات الفاسدة الخاضعة والتابعة لأمريكا. الثبات والصبر والبصيرة والثقة بالوعد الإلهي في قوله سبحانه: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ بإمكانها أن تمهّد طريق العزّ هذا أمام الأمة الإسلامية حتى تصل إلى قمة الحضارة الإسلامية».

ثم يتوجه الإمام إلى علماء الدين ليبيّن مدى ما يمكن أن يقدّموه من عطاء للصحوة الإسلامية، ومدى يمكن أن يشكل انحراف بعضهم من أخطار.

بشأن عطائهم يشير إلى:

- دور علماء الدين في أمواج الصحوة الإسلامية بعد الغزو الاستعماري للعالم الإسلامي.

- ما شكلوه من سند روحي وإرشادي للجماهير.

- ما أبدوه من شجاعة في تقدمهم الصفوف ولمواجهة الاخطار. وبشأن الأخطار التي يمكن أن تواجه علماء الدين:

- انشداد نفر منهم بفتات الموائد وبمتاع الدنيا.

- التلوث بهبات أصحاب المال والسلطة.

ـ الأنانية وحبّ الجاه.

ـ تنصيب نفرمنهم في مكانة مرجعيات فكرية منحرفة مشبوهة.

يقول السيد القائد:

« إن الأمواج الأولى للصحوة في بلدان هذه المنطقة، والتي اقترنت ببدايات دخول الغزو الاستعماري، قد انطلقت غالبًا على يد علماء الدين والمصلحين الدينيين. لقد خلّدت صفحات التاريخ وللأبد أسماء قادة وشخصيات بارزة من أمثال السيد جمال الدين الأسدآبادي ومحمد عبده والميرزا الشيرازي والآخوند الخراساني ومحمود الحسن ومحمد علي والشيخ فضل الله النوري والحاج آقا نورالله وأبي الأعلى المودودي وعشرات من كبارعلماء الدين المعروفين والمجاهدين والمتنفذين من إيران ومصر والهند والعراق . و يبرز في عصرنا الراهن اسم الإمام الخميني العظيم مثل كوكب ساطع على جبين الثورة الإسلامية في إيران . وكان لمئات العلماء المعروفين وآلاف العلماء غيرالمعروفين في الحاضروالماضي دورفي المشاريع الإصلاحية الكبيرة والصغيرة على ساحة مختلف البلدان. وقائمة المصلحين الدينيين من غيرعلماء الدين كحسن البنا و إقبال اللاهوري هي طويلة أيضًا وتثيرالإعجاب.

علماء الدين ورجال الفكرالديني كانوا هم بدرجة وأخرى المرجعية الفكرية، في كل مكان. إنهم كانوا سندًا روحيًا قويًا للجماهير، وحيثما قامت قيامة التحولات الكبرى ظهروا في دورالمرشد والهادي، وتقدموا لمواجهة الخطرفي مقدمة صفوف الحراك الشعبي، وبذالك ازداد الارتباط الفكري بينهم وبين الناس ، وازداد معه تأثيرهم في دفع الناس نحو الطريق الصحيح. وهذا له من الفائدة والبركة لنهضة الصحوة الإسلامية بِقَدَر ما يجرّعلى أعداء الأمة والحاقدين على

الإسلام والمعارضين لسيادة القيم الإسلامية من انزعاج وامتعاض، وهذا ما يدفع الأعداء إلى محاولة إلغاء هذه المرجعية الفكرية للمؤسسات الدينية واستحداث أقطاب جديدة عُرفت بالتجربة أنها قابلة للمساومة معها بسهولة على حساب المبادئ والقيم الدينية. وهذا ما لا يحدث إطلاقًا مع العلماء الأتقياء ورجال الدين الملتزمين.

إن هذا يضاعف ثقل مسؤولية علماء الدين. فعليهم أن يسدّوا الطريق أمام الاختراق بفطنة ودقة متناهية وبمعرفة أساليب العدوّ الخادعة وحيله ، وأن يحبطوا مكائده. إن الانشداد بالموائد الملونة بمتاع الدنيا من أكبر الآفات. والتلوث بهبات أصحاب المال والسلطة وعطاياهم، والارتباط المادي بطواغيت الشهوة والقوة من أخطر عوامل الانفصال عن الناس والتفريط بثقتهم ومحبتهم. الأنانية وحبّ الجاه الذي يجرّ الضعفاء إلى أقطاب القوة يشكّلان أرضية خصبة للتلوث بالفساد والانحراف. لابد أن نضع نصب أعيننا قوله سبحانه: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

إننا اليوم، ونحن في عصر حراك الصحوة الإسلامية وما تبعثه في النفوس من أمل، نشاهد أحيانًا مساعي خدم أمريكا والصهيونية لاصطناع مرجعيات فكرية مشبوهة من ناحية، ومساعي الغارقين في المال ومستنقع الشهوات لجرّ أهل الدين والتقوى إلى موائدهم المسمومة الملوثة من ناحية أخرى.

فعلى علماء الدين والرجال المتدينين والمحافظين على الدين أن يراقبوا هذه الأمور بشدة ودقّة».

ويرتفع سقف مطالبة السيد القائد من العلماء والمفكرين في العالم الإسلامي إلى «**إقامة الحضارة الإسلامية المجيدة**».

بيّن سماحته الخصائص العامة لهذه الحضارة بما يلي:

-استثمار ما أودعه الله سبحانه من مواهب في نفس الإنسان وفي الطبيعة.

-إقامة حكومة شعبية.

-إحلال القوانين المستهلمة من القرآن.

-الاجتهاد وتلبية الحاجات المستجدة.

-رفض الجمود الفكري والتخلف وهكذا البدعة والالتقاط.

-انتاج الرفاه والثروة العامة.

-استتباب العدل.

-التخلّص من الاقتصاد القائم على الاستئثار والربا والتكاثر.

-إشاعة الأخلاق الإنسانية.

-الدفاع عن المظلومين في العالم.

-السعي والعمل والإبداع.

-النظرة الاجتهادية والعلمية للساحات الحياتية والاقتصادية والإعلامية والفنية والعلاقات الدولية.

وهذه الحضارة الإسلامية بخصائصها ومقوماتها قادرة على بلورة مشاريع التطوير والإنماء، وأن تكون منطلق التخلّص من مستنقع النظرة المادية للعالم بكل ما تفرزه يقول سماحته:

« ضرورة رسم هدف بعيد المدى للصحوة الإسلامية في البلدان المسلمة يوضع أمام الجماهير لتتجه بوصلة حركة الجماهير إليه. وبمعرفة هذا الهدف يمكن رسم خريطة الطريق وتحديد الأهداف

القريبة والمتوسطة. هذا الهدف النهائي لا يمكن أن يكون أقل من إقامة «**الحضارة الإسلامية المجيدة**». الأمة الإسلامية، بكل أجزائها في إطار الشعوب والبلدان، يجب أن تعتلي مكانتها الحضارية التي يدعو إليها القرآن الكريم .

إن من الخصائص الأصلية والعامة لهذه الحضارة استثمار أبناء البشر لجميع ما أودعه الله في عالم الطبيعة وفي وجودهم من مواهب وطاقات مادية ومعنوية لتحقيق سعادتهم وسموّهم. و يمكن ، بل وينبغي مشاهدة مظاهر هذه الحضارة في إقامة حكومة شعبية ،وفي قوانين مستلهمة من القرآن، وفي الاجتهاد وتلبية الاحتياجات المستحدثة للبشر، وفي رفض الجمود الفكري والرجعية وهكذا رفض البدعة والالتقاط، وفي إنتاج الرفاه والثروة العامة، وفي استتباب العدل،وفي التخلّص من الاقتصاد القائم على الاستئثار والربا والتكاثر، وفي إشاعة الأخلاق الإنسانية، وفي الدفاع عن المظلومين في العالم،وفي السعي والعمل والإبداع .

ومن مستلزمات هذا البناء الحضاري: النظرة الاجتهادية والعلمية للساحات المختلفة بدءًا من العلوم الإنسانية ونظام التربية والتعليم الرسمي، ومرورًا بالاقتصاد والنظام المصرفي ، وبالانتاج الفني والتقني ووسائل الإعلام الحديثة والفن والسينما بالإضافة إلى العلاقات الدولية وغيرها من الساحات. وتدل التجربة أن كل ذلك ممكن وفي متناول مجتمعاتنا بطاقاتها المتوفرة .

لا يجوز أن ننظر إلى هذا الأفق بنظرة متسرعة أو متشائمة.التشاؤم في تقويم قدراتنا كفران بنعم الله، والغفلة عن الإمداد الإلهي ودعم سنن الكون انزلاق في ورطة : ﴿الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ﴾. نحن قادرون

على أن نكسر حلقات الاحتكارات العلمية والاقتصادية والسياسية لقوى الهيمنة، وأن نجعل الأمة الإسلامية سبّاقة لإحقاق حقوق أكثرية شعوب العالم التي هي اليوم مقهورة أمام أقلية مستكبرة.

الحضارة الإسلامية بمقوماتها الإيمانية والعلمية والأخلاقية وعبر الجهاد المستمر قادرة أن تقدم للأمة الإسلامية وللبشرية المشاريع الفكرية المتطورة والأخلاق السامية، وأن تكون منطلق الخلاص من مظالم الرؤية المادية للكون ومن الأخلاق الغارقة في مستنقع الرذيلة التي تشكل أركان الحضارة الغربية القائمة».

التخلص من مخلّفات عصور الانحطاط

ضرورة التخلص من مخلفات الغزو الثقافي الغربي مسألة هامة ترتبط بالصحوة وبالاستئناف الحضاري. هذه المخلفات تتمثل بالذيلية.. والذّلة السياسية.. والفقر الاقتصادي.. وتهاوي الأخلاق والفضيلة، والتخلّف العلمي المخجل.

وأهم من كل ذلك الهزيمة النفسية أمام الغرب والانخداع بوعوده، والشعور بالرعب من زمجرته.. هؤلاء المهزومون يخسرون ما وفّره الله سبحانه من فرصة هذه الصحوة الإسلامية المتصاعدة. يقول سماحته:

«في إطار حركات الصحوة الإسلامية يجب الاهتمام باستمرار بالتجربة المرّة والفظيعة التي تركتها التبعية للغرب على السياسة والأخلاق والسلوك ونمط الحياة.

البلدان الإسلامية خلال أكثر من قرن من التبعية لثقافة الدول المستكبرة وسياستها قد مُنيت بآفات مهلكة مثل الذيلية والذلّة السياسية والفقر الاقتصادي وتهاوي الأخلاق والفضيلة، والتخلّف العلمي

المخجل، بينما الأمة الإسلامية تمتلك تاريخًا مشرقًا من التقدم في جميع هذه المجالات.

هذا الكلام لا ينبغي اعتباره مناصبة العداء للغرب، نحن لا نكن العداء لأية مجموعة إنسانية بسبب تمايزها الجغرافي. نحن تعلمنا من علي عليه السلام ما قاله عن الإنسان أنه: «إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق» اعتراضنا إنما هو على الظلم والاستكبار والتحكّم والعدوان والفساد والانحطاط الأخلاقي والعملي الذي تمارسه القوى الاستعمارية والاستكبارية ضد شعوبنا. ونحن الآن أيضًا نشاهد تحكّم وتدخل وتعنّت أمريكا وبعض ذيولها في المنطقة داخل البلدان التي تحوّل فيها نسيم الصحوة إلى نهوض عاصف و إلى ثورة. وعود هؤلاء وتوعداتهم يجب أن لا تؤثر في قرارات ومبادرات النخب السياسية وفي الحركة الجماهيرية العظيمة.

وهنا أيضًا يجب أن نتلقى الدروس من التجارب. أولئك الذين انشدّت قلوبهم لسنوات طويلة بوعود أمريكا وجعلوا الركون إلى الظالم أساسًا لنهجهم وسياستهم لم يستطيعوا أن يحلّوا مشكلة من مشاكل شعبهم أو أن يبعدوا ظلمًا عنهم أو عن غيرهم. بل إن هؤلاء باستسلامهم لأمريكا لم يستطيعوا أن يحولوا دون هدم بيت فلسطيني واحد على الأقل في أرض هي مِلْك للفلسطينيين.

الساسة والنخب المخدوعة بالتطميع أو المرعوبة بتهديد جبهة الاستكبار والذين يخسرون فرصة الصحوة الإسلامية يجب أن يخشوا ما وجهه الله سبحانه إليهم من تهديد إذ قال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَةَ اللّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ﴾».

خطر إثارة الخلافات

في مقطع آخر من كلمة سماحته وقف عند أخطر ما يواجه الصحوة الإسلامية،وهو «دفع هذا الحراك نحو صدامات دموية طائفية ومذهبية وقومية ومحليّة».

والواقع أن هذه الصدامات هي من إفرازات التخلّف الحضاري. هنا التخلّف هو درجة من درجات الموت.. والجسد الميت لا ترتبط أجزاؤه برباط عضوي، بل هو مفكك، ومالجرج بميّت إيلام. على عكس الجسد الحي فهو مترابط عضويًا «إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمّى».

هذا الموت الحضاري جاءت الصحوة الإسلامية لتعيد إليه الحياة ولتعيد إلى أجزائه التلاحم والارتباط، غير أن القوى المضادة للصحوة هبّت لتكريس هذا الموت وهذا التفكك.والمواجهة قائمة اليوم بشدّة بين الموت والحياة.. بين الوحدة العضوية والتمزيق..

إحدى الوسائل التي تمارسها القوى الكبرى في هذا التمزيق تصوير الصحوة بأنها صراع بين السنة والشيعة، بين المسلمين والمسيحيين، بين العرب والعجم، كي تنصرف الأذهان عن الصراع الحقيقي بين الحق والباطل، بين الظلم والعدل.. بين المقاومة والاستسلام.. بين الموت والحياة.

وفي هذه الممارسات تتوجّه السهام بالدرجة الأولى إلى مصدر الإلهام في هذه الصحوة.. إيران، لبنان، فلسطين، كما تتوجّه إلى جبهة الصمود والمقاومة، والصمود والمقاومة من مفردات الإحياء.. تتوجه إلى سوريا والفصائل الفلسطينية المخلصة.. و إلى علماء الدين الإحيائيين.

بينما يتم إبراز وجوه ودوائر معروفة بانحطاطها الخلقي وضعفها النفسي وارتباطها الواضح بالعدوّ الإسرائيلي وحماته.

هذه الخطة تندرج ضمن الحرب النفسية، التي تحاول أن تكرس ظاهرة

التخلّف والضعف الحضاري في منظومتنا الإسلامية، بدأت منذ أوائل الغزو الاستعماري وارتفعت إلى ذروتها منذ مسرحية الحادي عشر من سبتمبر التي أدارها الصهاينة والأمريكان بغباوة بالغة، غير أن الأغبى منهم من راح يشاركهم عن قناعة في إلقاء اللوم على المسلمين.

يقول السيد القائد في كلمته:

«إن أخطر ما يواجه حركة الصحوة الإسلامية اليوم، إثارة الخلافات ودفع هذا الحراك نحو صدامات دموية طائفية ومذهبية وقومية ومحلّية. هذه المؤامرة تتابع أجهزة الجاسوسية الغربية والصهيونية تنفيذها اليوم بجدٍ واهتمام في منطقة تمتد من شرق آسيا حتى شمال أفريقيا وخاصة في المنطقة العربية بدعم من دولارات النفط والساسة المأجورين. والأموال التي يمكن استخدامها في تحقيق رفاه خلق الله، تُنفق في التهديد والتكفير والاغتيال والتفجير و إراقة دم المسلمين و إضرام نيران الأحقاد الدفينة. أولئك الذين يرون في قوة اتحاد المسلمين مانعًا لتطبيق أهدافهم الخبيثة رأوا في إثارة الخلافات داخل الأمة الإسلامية أيسر طريق لتنفيذ أهدافهم الشيطانية، وجعلوا من اختلاف وجهات النظر في الفقه والكلام والتاريخ والحديث، وهو اختلاف طبيعي لا يمكن اجتنابه، ذريعة للتكفير وسفك الدماء والفتنة والفساد.

نظرة فاحصة لساحة النزاعات الداخلية تكشف بوضوح يد العدوّ وراء هذه المآسي.

هذه اليد الغادرة تستثمر دون شك الجهل والعصبية والسطحية في مجتمعاتنا، وتصبّ الزيت على النار. مسؤولية المصلحين والنخب الدينية والسياسية في هذا الخضمّ ثقيلة جدًا.

ليبيا بشكل، ومصر وتونس بشكل آخر، وسوريا بشكل ،

وباكستان بشكل آخر، والعراق ولبنان بشكل تعاني اليوم أو في معرض المعاناة من هذه النيران الخطرة. لابدّ من المراقبة الشديدة والبحث عن العلاج.

إنه لمن السذاجة أن نعزو كل ذلك إلى عوامل ودوافع عقائدية أو قومية. الدعاية الغربية والإعلام الإقليمي التابع والمأجوريصوّران الحرب المدمّرة في سورية بأنها نزاع سنّي ـ شيعي، ويوفران بذلك مساحة آمنة للصهاينة وأعداء المقاومة في سوريا ولبنان. بينما النزاع في سوريا ليس بين طرفين سنة وشيعة ، بل بين أنصار المقاومة ضد الصهيونية ومعارضي هذه المقاومة. ليست حكومة سوريا حكومة شيعية، ولا المعارضة العلمانية المعادية للإسلام مجموعة سنية. إنما المنفذون لهذا السيناريو المأساوي كانوا بارعين في قدرتهم على استغلال المشاعر الدينية للسذّج في هذا الحريق المهلك. نظرة إلى الساحة والفاعلين فيها على المستويات المختلفة توضّح هذه المسألة لكل إنسان منصف.

هذه الموجة الإعلامية تؤدي دورها بشكل آخر في البحرين لاختلاق الكذب والخداع. في البحرين هناك أكثرية مظلومة محرومة لسنوات طويلة من حق التصويت وسائر الحقوق الأساسية للشعب، قد نهضت للمطالبة بحقها. تُرى هل يصح أن نعتبر الصراع شيعيًا سنيًا لأن هذه الأكثرية المظلومة هم من الشيعة، والحكومة المتجبرة العلمانية تتظاهر بالتسنّن ؟!

المستعمرون الأوربيون والأمريكيون ومن لفّ لفهم في المنطقة يريدون طبعًا أن يصوّروا الأمر بهذا الشكل، ولكن أهذه هي الحقيقة؟!»

الموقف من القضية الفلسطينية معيار

يضع السيد القائد معيارًا هامًا لسلامة مسيرة حركات الصحوة الإسلامية وهو

الموقف من «القضية الفلسطينية» هذه القضية ترتبط كل الارتباط بالإحياء وبالاستئناف الحضاري. إنّ غرس الغدّة السرطانية المتمثلة بإسرائيل في قلب العالم الإسلامي هو تحدّ كبير للأمة الإسلامية أريد منه إذلال الأمة وهزيمتها نفسيًا وإبقاء حالة التخلّف فيها.

من هنا فإن أولى بوادر الصحوة الإسلامية توجُّهُ الجماهير إلى أوكار العدوّ الصهيوني في عواصم البلدان العربية لاقتلاعها، وحدث قبل ذلك في إيران إبان الثورة الإسلامية، إذ في الأيام الأولى للثورة سُلِّم الوكر الصهيوني في طهران إلى الفلسطينيين ليقيموا فيه سفارتهم، ورفع الجماهير شعاراتهم آنذاك اليوم طهران.. غدًا فلسطين.

هذا معيار هام لعودة الحياة وعودة الوعي وعودة العزّة والكرامة.. معيار هام لسلامة المسيرة.

يقول سماحته:

««إن سلامة مسيرة حركات الصحوة الإسلامية يجب أن نبحث عنها فيما نبحث في موقفها تجاه قضية فلسطين. منذ ستين عامًا حتى الآن لم تنزل على قلب الأمة الإسلامية كارثة أكبر من اغتصاب فلسطين.

مأساة فلسطين منذ اليوم الأول حتى الآن كانت مزيجًا من القتل والإرهاب والهدم والغصب والإساءة إلى المقدسات الإسلامية. وجوب الصمود والنضال أمام هذا العدو المحارب هو موضع اتفاق جميع المذاهب الإسلامية ومحل إجماع كل التيارات الوطنية الصادقة والسليمة.

إنّ كل تيار في البلدان الإسلامية يتناسى هذا الواجب الديني والوطني انصياعًا للإرادة الأمريكية المتعنتة أو بمبررات غير منطقية يجب أن لا يتوقع غير التشكيك في وفائه للإسلام وفي صدق ادعاءاته الوطنية.

إنّ هذا هو المحكّ. كل من يرفض شعار تحرير القدس الشريف و إنقاذ الشعب الفلسطيني وأرض فلسطين أو يجعلها مسألة ثانوية ويدير ظهره لجبهة المقاومة فهو متّهم.

الأمة الإسلامية يجب أن تضع نصب عينيها هذا المؤشر والمعيار الواضح الأساسي في كل مكان وزمان».

في وقفة أخيرة من الكلمة يحذّر سماحته من الغفلة، وينبّه إلى تهيّؤ العدوّ للإجهاز في كل حين،ويشير إلى عوامل إحباط مكر الماكرين، وهي أساسًا اثنان: الثبات على المبدأ، والحضور الجماهيري في الساحة يقول:

«أيها الضيوف الأعزاء.. أيها الإخوة والأخوات.

لا تبعدوا عن أنظاركم كيد العدوّ، فإن غفلتنا توفّر الفرصة للعدوّ. إنّ درس علي عليه السلام لنا هو أنه: «من نام لم يُنَم عنه». تجربتنا في الجمهورية الإسلامية هي بدورها مليئة بدروس العبرة في هذا المجال. إذ بعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران ، بدأت الحكومات الغربية والأمريكية المستكبرة التي كانت منذ أمد بعيد تسيطر على طواغيت إيران وتتحكم في المصير السياسي والاقتصادي والثقافي لبلدنا، وتستهين بالقوة الضخمة للإيمان الإسلامي في داخل المجتمع، وكانت غافلة عن قوة الإسلام والقرآن في التعبئة والتوجيه ، بدأت تفهم فجأة ما وقعت فيه من غفلة،فتحركت دوائرها الحاكمة وأجهزتها الاستخبارية ومراكز صنع القرار فيها لِتَجبُرَ ما مُنيت به من هزيمة فاحشة .

رأينا خلال هذه الأعوام الثلاثين وبضع الأعوام أنواع المؤامرات والمخططات، والذي بدّد مكرهم أساسًا هو عاملان: الثبات على المبادئ الإسلامية والحضور الجماهيري في الساحة.

هذان العاملان هما مفتاح الفتح والفَرَج في كل مكان. العامل

الأول يضمنه الإيمان الصادق بالوعد الإلهي، والعامل الثاني سيبقى ببركة الجهود المخلصة والبيان الصادق. الشعب الذي يؤمن بصدقِ قادته و إخلاصهم يجعل الساحة فاعلة بحضوره المبارك. وأينما بقي الشعب في الساحة بعزم راسخ فإن أية قدرة ستكون عاجزة عن إنزال الهزيمة به. هذه تجربة ناجحة لكل الشعوب التي صنعت بحضورها الصحوة الإسلامية».

إنّ كلمة السيد القائد هذه وثيقة هامّة رسمت معالم الطريق، وسلطت الضوء على واقعنا المعاصر، ووجّهت المسيرة نحو هدفها الكبير وهو بناء الحضارة الإسلاميّة.